التاريخ

حكايات مسلية

إعداد

حازم خالد

رسوم

عبد الرحمن بكر

الكتاب: التاريخ.. حكايات مسلية

الكاتب: حازم خالد

رسوم: عبد الرحمن بكر

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

حازم ، خالد

التاريخ.. حكايات مسلية / حازم خالد ، رسوم: عبد الرحمن بكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٧٧ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٩٩٧ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان   رقم الإيداع : ١٣٠٩٢ / ٢٠١٩

التاريخ

حكايات مسلية





١

وللتاريخ قصة

التعامل الأمثل مع التاريخ أن نقرأه باعتباره قصة عن الماضي، فالتاريخ هو الماضي، تلك حقيقة، فكل ما تحويه كتب التاريخ من وقائع، هي في جوهرها استعادة لبعض أحداث الماضي، التي قد حدثت وتم وقوعها بالفعل ، فالأحداث قد مضت وتغيرت وليس كلها يمكن أن نطلق عليها تاريخا، فالتاريخ هو ما يرويه المؤرخون عن الماضي.

وقصة التاريخ هي في الحقيقة قصة حياتك أنت.. لا تتعجب، أنت الإنسان العادي البسيط، تؤدي دورك في قصة الحياة التي بدأت فصولها بنزول أبوالبشر آدم من الجنة ليحط على الأرض، يعمل ويكدح فيها من أجل عمرانها، قصته تلك هي بداية التاريخ، وحياتك أنت أيها الإنسان العادي البسيط هي الدليل على استمرارها، منذ عهد سحيق كان لك أسلاف، يشبهونك في بساطتهم واعتياديتهم، كانوا فوق ذلك لا يعرفون القراءة أو الكتابة أو الحساب ، لا يزرعون أرضا أو يربون حيواناً، أو

يصنعون آنية أو سلاحاً وربما لم يعرفوا كيف يتخاطبون بغير صوت مبهم أو إشارة، وأنهم كانوا يصرفون معظم أوقاتهم في صيد ما يقتاتون به، وفي الهرب والاختفاء من الحيوانات التي تريد افتراسهم، لاشك في أن حياتهم كانت صعبة ومحفوفة بالمخاطر، لكنهم عاشوها رغم صعوبتها ، فمهدوا لنا طريق الاستمرار، قصتهم هي التاريخ، تحكيه لنا تلك الأدوات البسيطة مثلهم التي وجدناها في كهوفهم من عظام، وأحجار، وفئوس، وخراب، ومطارق بدائية، وبما تركوه أحياناً من نقوش وصور حفروها على جدران الكهوف، هي أشياء تدفعنا إلى التخمين، ولكنها لن تمنحنا تاريخا حقيقيا، فالتاريخ الحقيقي لا تحكيه بيقين إلا الكلمات.

فالتاريخ باعتباره سجل مكتوب لحياة الناس في الماضي، والذي يعتبر أساساً في تكوينك أنت بصورتك الحالية، بدأ في مصر منذ أكثر من سبعة آلاف سنة.

فلنذهب إلى هناك ... إلى مصر حيث عثر الإنسان على أول تاريخ مكتوب.

٢

المصريون القدماء .. أول مجتمع وأول حكومة

أرض مصر كانت أول مكان في العالم توافر للناس فيه المسكن والغذاء والكساء، وقد توافروا بدرجة مكنت المصريين من أن يخترعوا " التعاون"، فهم لم يكونوا مجرد بشرا وجدوا أنفسهم بالصدفة في مكان واحد، بل شكلوا مجتمع، أي أفراد يتعاونون على العمل الذي يهيئ لهم مقداراً أوفر من الرفاهية والنهوض بأنفسهم وأن يتركوا لنا قصتهم مكتوبة.

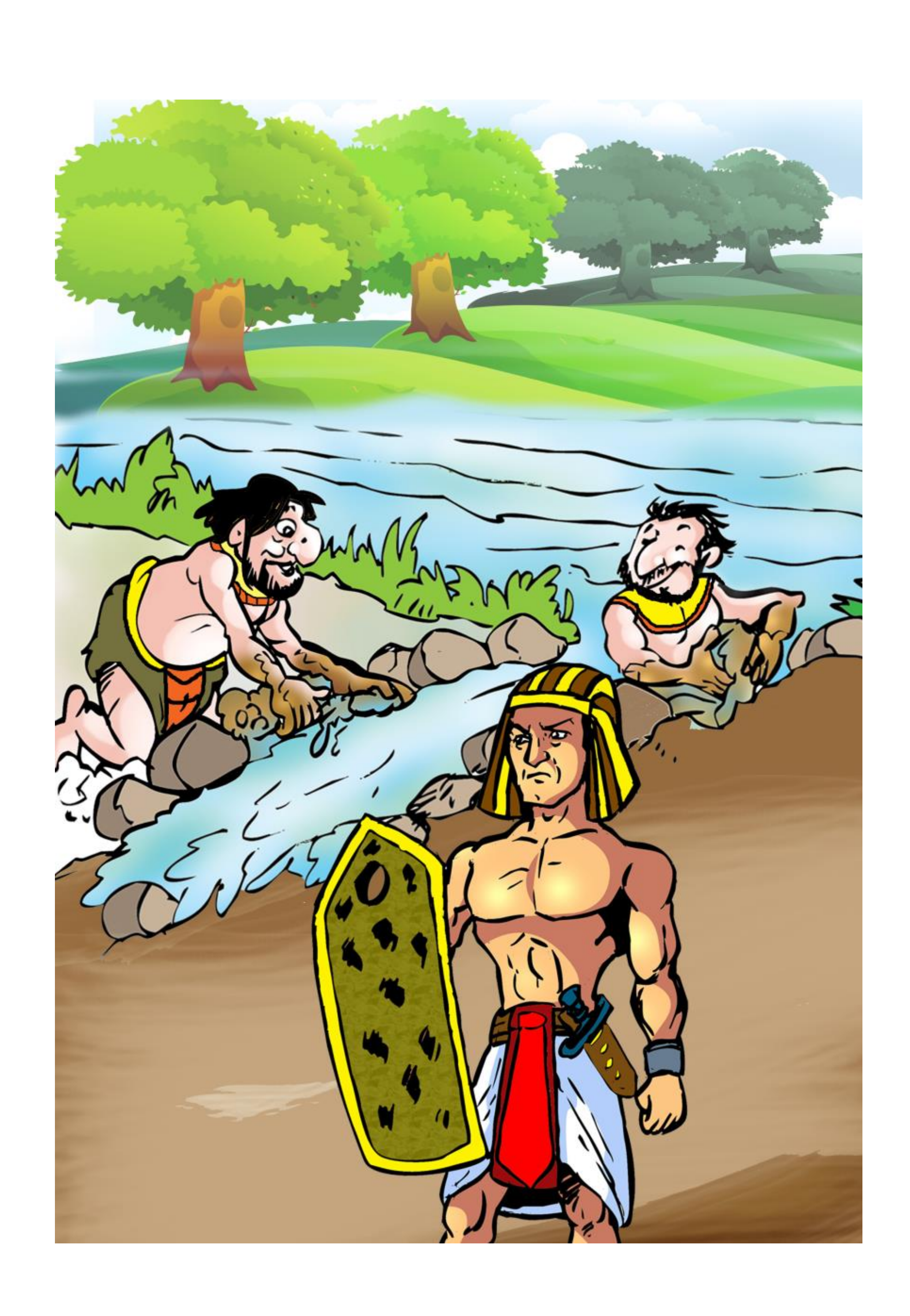
وتقع مصر في الشمال الشرقي لقارة أفريقيا، حيث المناخ دافئ نسبيا طول السنة، وحيث تتوفر الأحجار والأخشاب التي يحصلون عليها من الأشجار والطين الذي يقذف به النهر، وكل هذه الأشياء استخدمها الناس في بناء بيوت تأويهم ويعيشون فيها، هكذا تمكن قدماء المصريين من حل مشكلة المسكن، ولهذا لم يكن الملبس أو المأكل مشكلة كبيرة أمامهم.

فقد اكتشف المصريون أنهم بتعاونهم وعملهم بعضهم مع بعض، يستطيعون الحصول على غذاء أوفر، ذلك أنه في موعد

معين من كل عام يرتفع ماء نهر النيل حوالي ثلاثين أو أربعين قدماً ويفيض على الشاطئين وتغمر المياه الوادي على الجانبين إلى مسافة ستمائة ميل تقريباً من الجنوب إلى الشمال قرب البحر الأبيض المتوسط، فإذا هبط مستوى الماء ثانية كعادته كل عام، ترك طبقة من الطمي تكون تربة صالحة لزراعة المحاصيل.

هكذا قرر المصريون ألا يعيشوا على الصيد فقط، فمنذ فجر التاريخ بدأوا يزرعون الحبوب في الطين ويأكلون من ثمرها، كما بدأوا في استئناس وتربية بعض الحيوانات كالبقر والغنم والماعز، فإذا تعاونوا وتكاتفوا أمكنهم أن يطاردوا الحيوان المفترس ويصيدوه..

والأهم أنهم كما قلنا لم يعيشوا كأفراد، بل شكلوا فيما بينهم مجتمعا، وقام مجتمعهم على التعاون، وكان هذا التعاون يهيئ لهم حياة أكثر طمأنينة وأمنا، فبالتعاون تعلم المصريون حفر القنوات وبناء السدود والحواجز وبذلك استطاعوا أن يستخدموا مياه النيل في ري أراضيهم وتنمية محصولاتهم، وهو النظام الذي نتبعه في بقاع كثيرة من العالم في الوقت الحاضر.



ونظراً لأنهم كانوا يعملون في جماعات متعاونة، فقد تعلموا كيف يتخاطبون ويتحدثون، واستطاع بعضهم بعد أعوام أن يؤلف كتابة بالرسوم تحكي لنا قصة حياتهم.

ولقد تعلمنا الشيء الكثير عن المصريين القدماء من هذه الكتابة التي تركوها منقوشة على أحجارهم وجدران معابدهم، أو مكتوبة بالأقلام والحبر على صحائف ورق البردي، وهو نبات الذي كان ينمو بوفره في مصر ، وقد استفاد المصريون منه كثيرا، فصنعوا منه لفائف رقيقة ثبتوها بعضها إلى بعض في شكل صحائف تشبه الورق، وقد أخذت كلمة Paper الإنجليزية ومعناها الورق من كلمة البردي الأصلية Papyrus.

وقد تعلم المصريون القدماء أشياء كثيرة مفيدة، ونقلوها إلى غيرهم، فقد توصلوا إلى صناعة الآلات والأسلحة من المعادن وبنوا السفن وأقاموا المباني الضخمة، وتعلموا الشيء الكثير عن زراعة المحاصيل وتخزينها، ونسجوا القماش ورسموا الصور وصنعوا التماثيل ، كما صنعوا الأثاث وحذقوا في صناعة الأحجار الكريمة.

ولاحظ قدماء المصريين ارتفاع مياه النيل في أوقات منتظمة من كل عام ودرسوا حركة الأرض، والشمس والقمر في أوقات معلومة، وبعد سنوات من التفكير اهتدوا إلى عمل تقويم سنوي فقسموا السنة إلى إثني عشر شهرا، كما قسموها إلى **٣٦٥** يوماً في العام، وهذا التقويم يشبه إلى حد بعيد التقويم الذي نتبعه حاليا.

ومضت الأيام فتزايد عدد السكان في وادي النيل الذي أصبح مكانا جاذبا يفد إليه آخرون ليعيشوا فيه فاضطروا إلى بناء القرى، وهذه القرى نمت فأصبحت مدائن، ثم اتخذ هؤلاء الناس لأنفسهم قادة وشرعوا القوانين والأحكام، وهذا التنظيم هو ما نسميه اليوم "الحكومة."

وكان هؤلاء الحكام والقادة الأوائل في أول الأمر من الكهنة الذين كانوا يمارسون وظائف الأطباء والقضاة والكتاب، إلى جانب عملهم في المعابد لخدمة آلهة المصريين القدماء.. وبتوالي السنين أصبح المحاربون الأقوياء ملوكاً فحكموا الناس ثم تولى أقوى هؤلاء الملوك حكم البلاد كلها، ولقب بفرعون أو إمبراطور.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أنهم سيبعثون بعد الموت، ولذلك فإنهم قاموا بتحنيط أجساد الموتي بأن يضعوها في لفافات

بطريقة خاصة تجعل كلا منها مومياء، وبعد أن تدفن هذه المومياوات كانوا يغطونها بالأحجار من كل ناحية وبذلك يضمنون حمايتها وبقاءها.

وكان الفراعنة يشيدون الأهرامات الضخمة والمعابد الكبيرة ليحفظوا فيها أجسادهم الملكية بعد الموت، ولا تزال آثارها باقية حتى الآن، ويبلغ ارتفاع واحد من هذه الأهرامات ما يقرب من خمسمائة قدم، بني على أرض مساحتها تزيد على ثلاثة عشر فداناً.

٣

ما بين النهرين: هنا نشأت الحضارة

تقع منطقة "ما بين النهرين" في قارة آسيا، وهي ذات أرض خصيبة، وهذه البلاد فيها وديان تزرع الحبوب ويرويها نهران كبيران، وهي العراق اليوم ومعنى هذا أنها تقع بين نهرين.. هذان النهران يسميان: دجلة، والفرات، ويصبان في الخليج العربي. وعلى الأرض الواقعة حول هذين النهرين، بدأ الناس يتجمعون ويتحضرون في نفس الوقت الذي بدأ فيه المصريون حضارتهم تقريباً؛ فقد تعلم هذا الشعب كما تعلم المصريون، كيف يروون الأرض ويزرعون النبات، ويربون الأغنام والحيوان وأن يشيدوا المباني، ويبنوا السفن والمدائن.

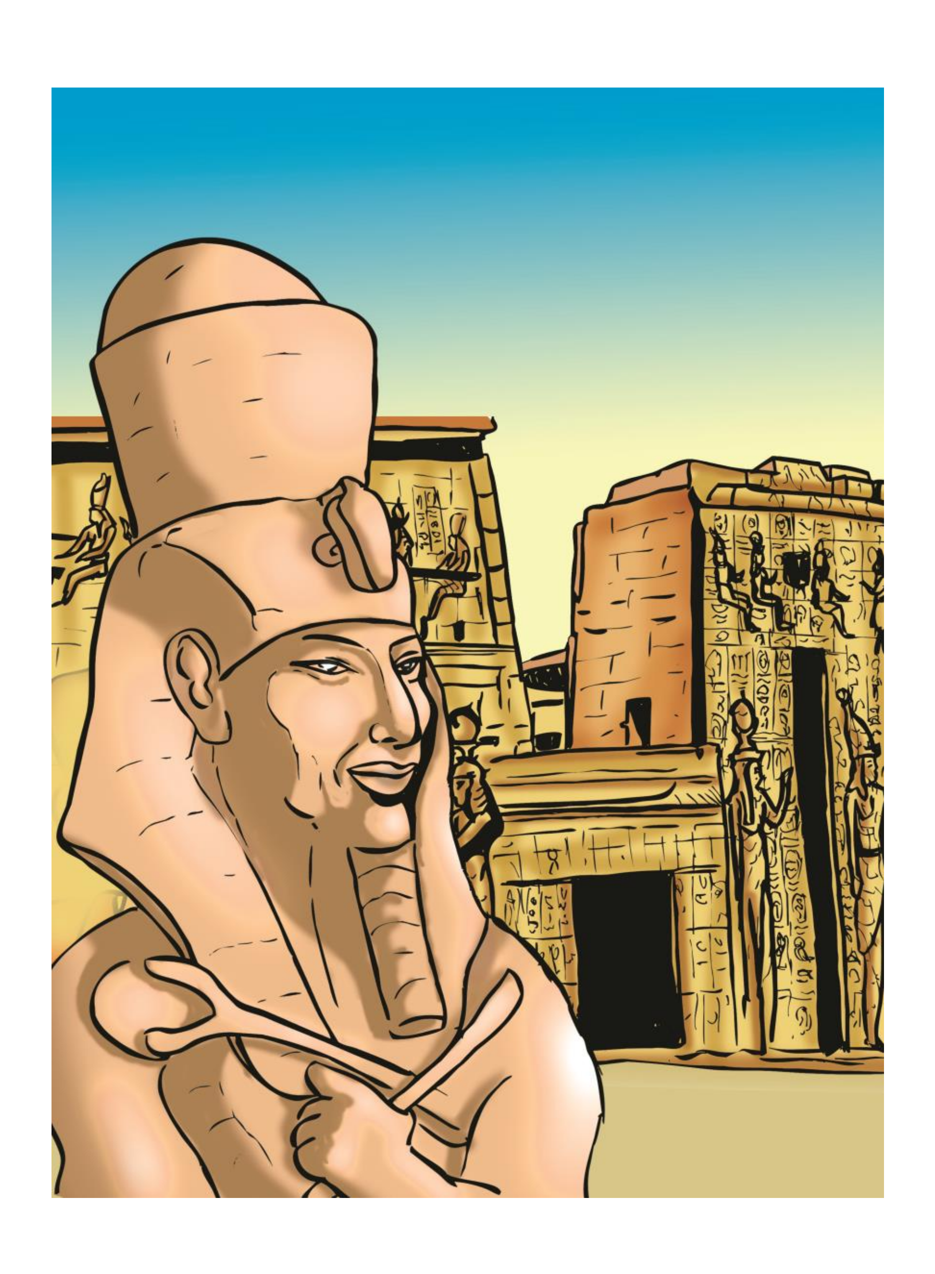
غير أن طبيعة هذه البلاد تخالف طبيعة أرض مصر، لأنها غير محاطة بصحراء أو بحار تحميها ضد غزو القبائل والعصابات التي كانت تسطو عليها من وقت لآخر لنهب البلاد وسلب ما فيها من نفائس ومحاصيل، وكان من أثر ذلك أن حدثت اضطرابات دامت آلاف السنين، إذ يبدو أن هؤلاء الناس كان القتال

وسيلتهم المعتادة من أجل الاستيلاء على الحكم في تلك البلاد الغنية.

ولكن على الرغم من هذه الحروب المستمرة، فإن سكان ذلك الوادي من سومريين وبابليين وآشوريين وكلدانيين وعرب ساميين وسوريين وفينيقيين وفرس وغيرهم، كانوا جميعاً يعملون في سبيل إسعاد أنفسهم بابتكار ما ينفعهم وينفع البشرية من بعدهم، فكم نحن مدينون لهم بما فكروا وأنتجوا.

فحينما كان القتال بينهم يهدأ، كانوا يشتغلون بالتجارة فيما بينهم، فكانوا يستبدلون بعض متاعهم كالأغنام أو الأبقار ببعض الأخشاب أو الأحجار يستخدمونها في البناء، أو بأقمشة يلبسونها، أو أغذية يأكلونها، وقد استأنسوا الخيول البرية وعلموها جر العجلات والعربات التي اخترعوها بعد أن اكتشف أحدهم أن العجلة يمكن أن تدور.

وقد أنشأوا الطرق وأقاموا الجسور وبعثوا برسلهم هنا وهناك، وكان هذا بداية لنظام البريد الذي نتبعه اليوم، وكانوا يكتبون على ألواح من الطين بأدوات مدببة تحدث علامات مدببة مثل هذه العلامات:



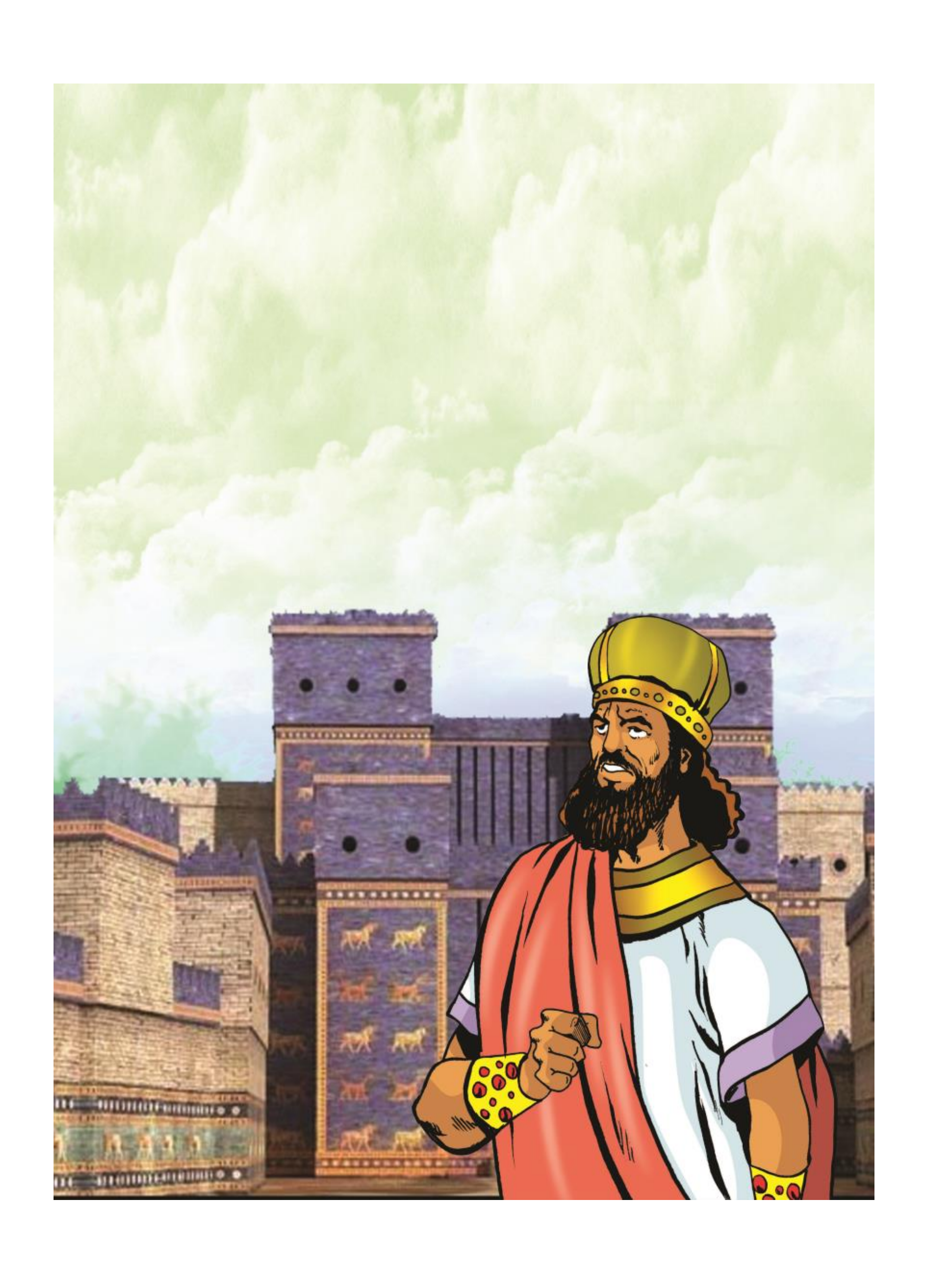
وكان هذا الحرف بمثابة المرحلة الأولى التي طورها فيما بعد الفينيقيون، وهم قوم كانوا يعيشون بجوار البحر، فاشتغلوا به وبالتجارة، حروفاً للهجاء نعتبر أساساً للأبجدية التي نستخدمها نحن اليوم.

فهل تعلم أي اختراع عجيب تمثله تلك الأبجدية ؟ إننا نستطيع أن نكتب كل الكلمات التي تشتمل عليها لغتنا بستة وعشرين أو سبعة وعشرين حرفاً فقط. فكم هو اختراع عظيم، لولاه لما استطعنا أن نكتب.

وقد درسوا أيضاً شيئاً عن حركات الشمس والقمر والنجوم، دراسة جعلتنا نستخدم معلوماتهم إلى اليوم في علم الفلك، وما تقسيمنا الأسبوع إلى سبعة أيام إلا اتباعا لما ساروا عليه من قبل.

وإلى جانب ذلك اكتشفوا كيف يصهرون الحديد ويصنعون منه أشياء كثيرة كانت نافعة لهم، ولا تزال تنفعنا إلى الآن، وتعلموا أيضاً كيف يزنون الأشياء وكيف يقيسون الزمن، كما تعلموا كيف تنسج الأقمشة من الصوف والقطن وكيف تصبغ بألوان جميلة جذابة.

وشيئاً فشيئاً فكروا في النقود وكيف يمكن أن يتعامل بها الناس ويشتروا بها حاجياتهم، وبعد أن كانوا يبادلون سلعة بسلعة أو يبادلون بقرة ببعض القمح أو الحبوب، أمكنهم أن يبيعوا بقرة أو جاموسة بنقود معدنية، وهكذا تمكن الإنسان من أن يشتري ما يشاء بالنقود دون مبادلة أو مقايضة.



٤

أوروبا.. النورمانديون

حدثناك عن مصر وهي في الشمال الشرقي من قارة أفريقيا، أما العراق (ما بين النهرين) فتقع في قارة آسيا، وهما قارتان من ثلاث شكلوا معا العالم القديم، وثالثتهم هي قارة أوروبا، فلنقم بزيارة خاطفة لها، لنعرف شيئاً ولو يسيرا عنها وعن أهلها الأقدمين: كيف عاشوا؟ ومن أي مكان نزحوا؟ وما أصلهم وعاداتهم؟

إذا ما سأل طفل إنجليزي أباه أو أمه: من أين أتى قومهما ؟ فإن احتمالات إجابتهما لن تخرج عن: أن هذا الشعب خليط من الإنجليز والاسكتلنديين والويلزيين والأيرلنديين وهناك عائلات كثيرة في الكومنولث الإنجليزي تعتبر نفسها "خليطاً"، ولكنهم في الواقع من أصل واحد وجنس واحد قدم أول الأمر من أوروبا.

فمن أين وفد هؤلاء الأسلاف الأوائل؟

منذ آلاف السنين، كانت أوروبا كلها تقريباً مغطاة بالجليد ولم تكن الحياة فيها مستطاعة في ذلك الحين، وإذن فأين كان يعيش هؤلاء الجدود الأولون قبل أن يستوطنوها؟

ويجمع العلماء على أن أجداد معظم الناس الذين يعيشون اليوم في أوروبا، قد وفدوا من مكان بعيد في شرق أوروبا، في آسيا بالقرب من بحر قزوين، وهكذا نرى أنه كان عليهم أن يقطعوا مسافات شاسعة قبل أن يصلوا إلى بريطانيا مثلا أو أو أي مكان آخر في أوروبا. وأفراد هذه القبائل من الجنس الأبيض هاجروا من مواطنهم الأصلية حيث سهول الإستبس الواسعة الخضراء وكانوا رعاة رحلا نسميهم نحن "نورماديين" أي البدو.

كان هؤلاء البدو ينتقلون من مكان إلى مكان حتى تجد قطعانهم عشباً تأكله، وكانوا عادة يسكنون الخيام التي يستطيعون حملها معهم، وشيئاً فشيئاً أخذت هذه القبائل تستأنس الخيول لتساعدهم في عملهم.. وهم على العكس من الناس في مصر والعراق الذين تعلموا الاستقرار في مكان واحد وبذلك تمكنوا من الزراعة ليقتاتوا منها، فالبدو كانوا يعتمدون في حياتهم اعتمادا كبيرا على حيواناتهم، يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويستخرجون منه الجبن والزبد.

كما أن هؤلاء البدو قد عاشوا مثل حيواناتهم على العشب، يرتحلون من مكان لآخر بحثاً عنه فإن وجدت حيواناتهم وفرة من العشب تعيش عليه، فقد عاشوا هم أيضاً في وفرة ورخاء.

وحينما بدأ هؤلاء الرعاة الرحل في رحلتهم من أرضهم حول بحر "قزوين" انتشروا في الأرض، فمنهم من اتجه ناحية الشمال، ومنهم من هاجر إلى الجنوب، ولذا نجد أن بعض الجدود من الجنس الأبيض، قد عاشوا منذ آلاف السنين في إيران والهند وفي أماكن أخرى من آسيا.

أما أولئك الذين اتجهوا صوب الغرب إلى أوروبا، فقد انتشروا أيضاً في كل اتجاه فتوقف كثير منهم واختلطوا بغيرهم ممن استقروا في الأرض، وعاشوا معهم حيناً، وقهروهم ثم حكموهم حيناً آخر. ومنهم من واصلوا طريقهم إلى أوروبا وانتشروا في جميع أرجائها فاستقروا بعد حين، وعمروا أوروبا، كما عمروا جزر المحيط الأطلنطي.

ويستدل المؤرخون على قولهم بأن الأوروبيين انحدروا من أصل واحد، بشيئين: الأول هو لونهم الأبيض، والسبب الثاني يتمثل في أن كلمات كثيرة من التي يستخدمها الأوروبيون، لها رنين يجعل سامعها يظن أنها كلها من لغة واحدة استخدمها هؤلاء الأجداد

في كلامهم منذ أمد بعيد، ونظراً لأن فريقاً من هؤلاء البدو الأوائل قد رحلوا من بحر قزوين إلى الهند وإلى أوروبا فإنهم يسمون غالباً "الهنود الأوروبيون".

٥

الإغريق: بدو آخرين

لم يكن النورمانديون هم الشعب البدوي الوحيد الذي سكن أوروبا، فالأغريق أيضا كانوا شعبا بدويا، وقد رحلوا باتجاه جنوب أوروبا واستقروا على ساحل البحر المتوسط وحول بحر إيجة. وقد كان الإغريق القدماء من أعظم الجماعات التي وجدت على الأرض، فقد علموا العالم الحكمة وطرق التفكير والسلوك والعمل...

ولم ترجع تلك العظمة إلى كثرة في عددهم أو تفوق في قوتهم، فقد كانوا في الحقيقة أمة قليلة العدد حين بدءوا يمارسون أرقى أساليب التفكير ويعلمون العالم كيف يعيش وكيف ينتج.

ولم يكن هؤلاء الإغريق الأقدمون كاملين مبرئين من العيوب، فقد وقعوا في أخطاء فاحشة جعلت منهم في النهاية أمة صغيرة ضعيفة مفككة الأوصال فحكمهم غيرهم لمئات السنين، غير أنهم تركوا للعالم أجمع بعض الأفكار المدهشة.

إنهم حين هجروا أرضهم الأصلية بالقرب من نهر الدانوب متجهين نحو السهول والجزر التي نطلق عليها اليوم اسم اليونان، كانوا بالنسبة للناس الذين يعيشون في تلك البقاع قوماً بدائيين، حفاة غلاظ الطباع غير متحضرين، وعلى الرغم من قسوتهم وشدتهم كانوا أذكياء، لديهم استعداد لأن يتعلموا و أن يتقلبوا الآراء والأفكار الجديدة، وأن يعتنقوها إن اقتنعوا بأنها في صالحهم. والأهم أنهم لم يكونوا شعباً من الكسالى لذلك سيطروا بعد زمن قليل على جزر بحر إيجة الذي هو جزء من البحر المتوسط وعلى البلاد المحيطة به وكل المنطقة التي تشكل الآن دولة اليونان. وفي بادئ الأمر خربوا كثيراً من الأشياء الجميلة الجيدة التي أنتجها أصحاب الأرض الأصليين الذين كانوا يعيشون في تلك الجزر لمئات من السنين، حين كانوا يبحرون إلى البلاد المتحضرة مثل مصر وبلاد ما بين النهرين، ويتاجرون مع أهلها. إلا أن هؤلاء اليونانيين الذين أطلقوا على أنفسهم إسم الهلينيين سرعان ما تعلموا وأبدعوا فأنتجوا فكرا وفنا عوضوا بهما فيما بعد أكثر ما خربوا في جهالتهم الأولى.

لقد أصبحوا بحارة مهرة، وكانت سفنهم تجوب البحر المتوسط، تحمل البضائع، والقطع الفنية الجميلة الصنع، بل أن

بعض بحارتهم كانوا يذهبون بعيداً لينشئوا بلدانا جديدة ومدائن أخرى، وليقيموا مستعمرات في أماكن بعيدة من ذلك البحر الداخلي الكبير..

وسرعان ما امتدت هذه المستعمرات الإغريقية إلى البلاد التي نسميها اليوم فرنسا، وإيطاليا، كما أن نفوذهم امتد شمالاً إلى شواطئ البحر الأسود في روسيا وآسيا الصغرى. وأضاف الإغريق الحروف المتحركة إلى أبجدية كتابتهم كما أصبحت لغتهم غنية بالكلمات المصورة بحيث كانت قصصهم وأشعارهم وأغانيهم نموذجاً يحتذي لمئات السنين، أرشدت الكتاب الذين يحاولون الإبداع في فن القول حتى في الزمن الحاضر.

وكان الإغريق يهتمون بكل شيء بسيط وجميل، فكان فنانو الإغريق ينحتون أروع التماثيل في العالم، كما كان مهندسوهم وبناءوهم يشيدون العمائر والمعابد، وبقيت آثارهم كنماذج رائعة، ما زال الفنانون ينقلون عنها اليوم.



والإغريق هم الذين ابتكروا فكرة المسرح، وكان من عادتهم مشاهدة عروض التمثيليات على مسارحهم في صورة أقرب ما تكون اليوم لمشاهدة مباريات الكريكيت أو كرة القدم، ولقد اعتقد الإغريق أن الأجسام القوية تساعد على بناء العقل السليم والتفكير القويم، ولذا أحبوا الرياضة والألعاب الجمعية التي تساعد في بناء الأجسام السليمة. لذلك نظموا البطولات وتعتبر الدوات الأولمبية الدولية في أيامنا امتداد لما أقاموه من مسابقات رياضية.

على أن أهم درس علمه الإغريق للبشرية يتمثل في أهمية أن نستخدم عقولنا، وأن نحاول الوصول إلى الحقيقة، حقيقة كل شيء، عن العلم، ونظم الحكم، وكيف نسير قدماً مع الشعوب التي بدأت تنتشر في كل بقعة من بقاع العالم.

ففي مصر وآسيا كان يحكم الشعوب ملوك وفراعنة وأباطرة، لم يهتم إلا عدد قليل منهم بتعليم الناس كيف يعيشون، وماذا يفعلون، ولقد كان الإغريق أول من انتبه في العالم إلى أهمية الفرد وحقه في إبداء رأيه في نمط الحياة التي يريد أن يحياها.

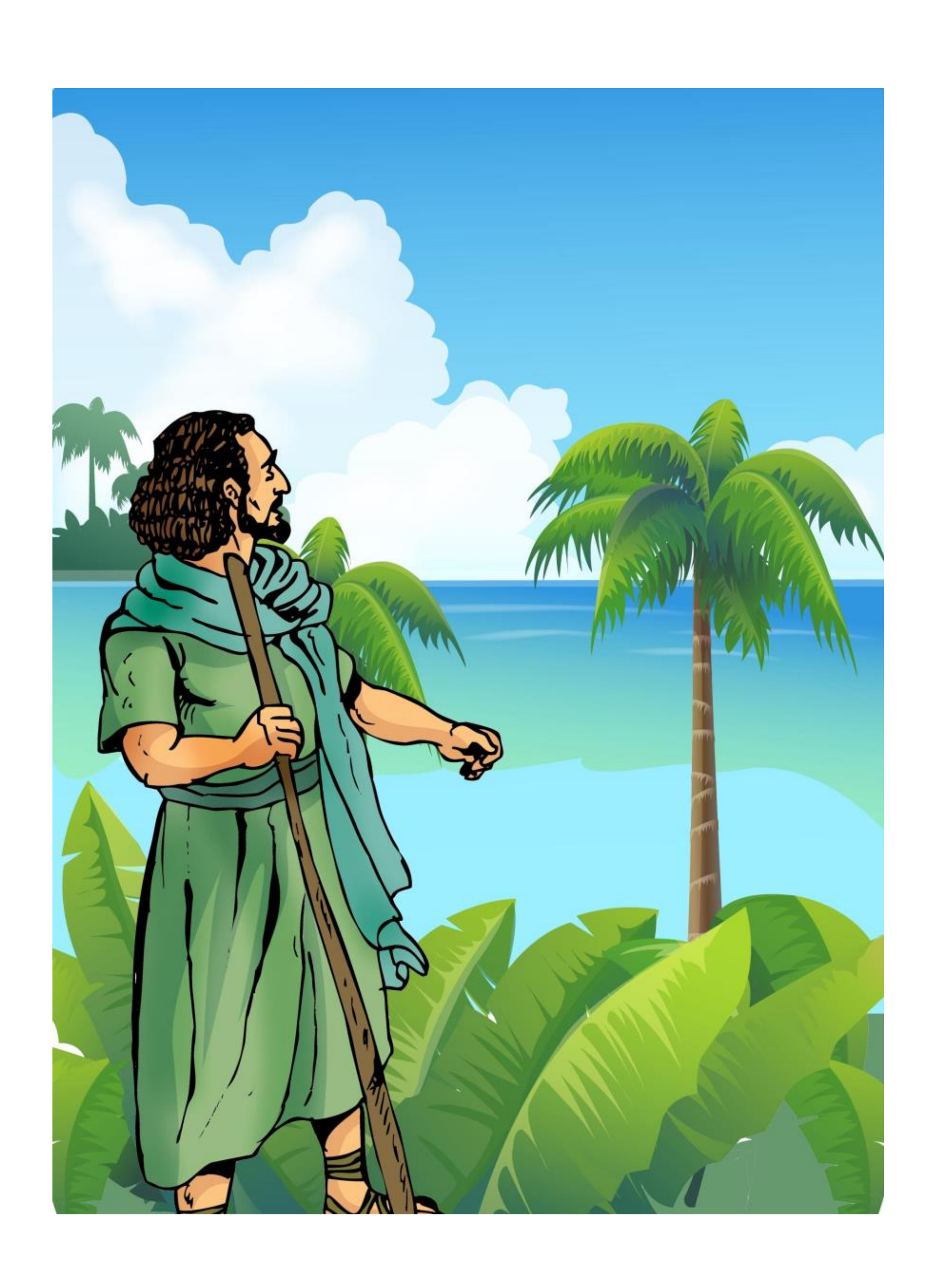
وسوف نوضح لك في فصول تالية من هذا الكتاب ، كيف أن هذه الفكرة الإغريقية القديمة، فكرة احترام ذاتية الفرد، قد

ساعدتنا على الوصول إلى أقوم الطرق في الحكم، فنحن نريد أن نسمع رأي كل إنسان ما دمنا قد ساهمنا بالمبدأ الذي ينادي بأهمية الفرد.

إننا إذا تأملنا هذا التاريخ المبسط للعالم، وجدنا أنه حينما يسيطر شعب على شعب آخر ويحكمه مدة من الزمن فإنه يرتكب أخطاء جسيمة وسرعان ما تتلاشى قيادته، فيحل غيره محله. ولقد ارتكب الإغريق القدماء هذا النوع من الخطأ، فتسلم منهم الرومان زمام القيادة واحتلوا مركز الصدارة. فالإغريق، وعلى الرغم من كل ما حققوه وما كانوا عليه من حكمة في كثير من الأمور، إلا أنهم ارتكبوا خطأ قاتلا قادهم إلى نهايتهم، فمدن الإغريق كانت مستقلة كل منها عن الأخرى تماماً، وكان أشهر هذه المدن "أثينا "، "وأسبرطة" ، "وكورينتيا"، "وطيبة"، وغير ذلك من المدن، أما الخطأ فقد تمثل في أن أجزاء اليونان المختلفة لم تتمكن من أن تسير كلها، ببعضها مع بعض في تعاون وانسجام ، مما أدى إلى تفكك الدولة، وكانت هذه المدن جميعاً، تتكلم لغة واحدة، وكانت كتلة موحدة، أمام المعتدين الأجانب، تصدت معا لهجمات الفرس مرتين، لكن فيما عدا ذلك كانت تتنازع فيما بينها بغية الوصول إلى الحكم والسلطان، وكان شأنهم في هذا

الخلاف، شأن ما يحدث بين أفراد الأسرة الواحدة حيث يختلف الأخوة والأخوات في الأعباء التي يتحملونها، وأخيراً شنت هذه المدن حروباً فيما بينها، وأدت هذه الحروب إلى فنائها جميعاً، ذلك لأن قائداً من مقدونيا اسمه فيليب ، وفد إليها ووحدها بالقوة تحت سيطرته، ثم جاء من بعده ابنه الإسكندر الأكبر ، فقاد الإغريق، كما قاد أهل مقدونيا الذين يتكلمون اللغة اليونانية في حرب هزم فيها كل بلاد العالم القائمة في زمانه، هزم مصر، وبلاد ما بين النهرين، كما هزم فارس وآسيا الصغرى كلها، كما احتل جزر البحر المتوسط ومستعمراته، فكان حاكماً للناس جميعاً فترة قصيرة من الزمن.

تعلم الإسكندر نظم الإغريق حينما كان صبياً، ومرت الأيام فنشرها في إمبراطوريته الواسعة.. ولقد نقل تعاليم الإغريق وعلمها لملايين الناس، ولكنه حين مات، ولم يكن قد مضى عليه في الحكم غير سنوات قلائل، اقتسم قادة جيشه بلاد العالم فيما بينهم، ففقدت امبراطورته وحدتها وعادت لتفككها.



٦

الرومان: دعاة القانون

الخرائط ليست جغرافيا فقط، أنها ترتبط بالتاريخ، فإنك إن أطلت النظر إلى تلك الخريطة التي توضح دول العالم القديم فستجد إيطاليا في الجزء الغربي من حوض البحر المتوسط، تبدو كما لو كانت حذاءً طويلاً، يبرز في أهم بحر في العالم القديم، وفي الوقت الذي كان الإغريق يتحركون فيه صوب الأرض التي استقروا فيها، وفد فريق آخر هم الهنود الأوروبيون، فنزلوا في منتصف هذا الحذاء واستقروا فيه، وهو جزء دافئ مشمس، وبنوا مدينة "روما" على ضفاف نهر التيبر. وهناك كان يتربص بالمدينة الجديدة عدو ينتمي إلى قبائل "الأتروسكان" الذين كانوا يعيشون إلى الشمال من روما، كما أن الإغريق الذين يسكنون إلى الجنوب منها كانوا يتربصون بها ويخشونها كقوة ناشئة تنافسهم، ثم أهل قرطاجنة الذين كانوا يسكنون شمال إفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط تجاه إيطاليا.

فلما قويت شوكة أولئك الفلاحين اللاتينيين الشجعان، ولما انتصروا على جيرانهم من الطامعين، أخذت مدينة روما تكبر وتزداد قوة. فخطا الرومان على خطى الإغريق وقلدوهم في وسائل معيشتهم فأصبحوا مثلهم تجاراً. أما "قرطاجنة" في شمال إفريقيا، فقد استوطنها الفينيقيون الذين وفدوا إليها من سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية (قرب بلاد ما بين النهرين) وكان ذلك منذ أمد سحيق قبل استقرار الرومان في إيطاليا.

وقد استمر الفينيقيون سادة البحار والتجار في الجزء الغربي من العالم القديم، إلى أن ظهر الرومان. ولقد اشتبكت روما وقرطاجنة في حرب، وعلى الرغم من أن قرطاجنة كان لها قائد عظيم مشهور هو هانيبال تمكن من عبور جبال الألب على رأس جيش كبير، وأوشك أن يهزم الرومان هزيمة ساحقة تقضي عليهم، إلا أن الرومان انتصروا في النهاية، فدمروا قرطاجنة تماما. وفي ذلك الوقت بينما كانت الأجزاء الثلاثة في شرق حوض البحر المتوسط تتطاحن فيما بينها، كانت روما أعظم قوة في المنطقة الغربية.

فقد تفككت إمبراطورية الإسكندر العظيمة وانقسمت على نفسها وضعفت على يد قادة جيشه، فلم تمض غير سنوات قليلة

حتى سير الرومان جيوشهم وأبحروا بها تجاه الشرق، وأصبحوا له حكاماً، يسنون القوانين لكل بلاد البحر الأبيض المتوسط. فقد استفاد من أخطاء غيرهم، فتعلموا الطرق التي توصلهم إلى النجاح والنصر، وابتعدوا عن أي أسباب قد تعرضهم إلى الهزيمة والفشل.

يحكي التاريخ عن الرومان كثيرا، ويوضح أن ثمة أوقات عصيبة مرت عليهم، وأنهم كان لهم قادة فيهم الخير والشرير، وفيهم من وصل إلى الثراء بسبب الأنانية وعن طريق غير شريف، وفيهم القساة الذين أذلوا الفقير ولم يرحموا الضعيف.

ومع ذلك كله فقد تقدم العالم القديم بفضل الرومانيين لمئات السنين تقدماً لم يصل إليه في أي عهد آخر؛ ذلك لأنهم أعطوا للعالم مبادئ ثلاثة لا يزال خير الناس في وقتنا الحاضر يحاولون أن يهتدوا بها، هذه المبادئ الثلاثة هي:

١– تعلم الرومان من الإغريق القدماء أن الإنسان في كل أطوار حياته في حاجة إلى أن يشعر بذاته وشخصيته، وأن يحس بأهميته في الجماعة التي يعيش بينها، ويدرك أن من حقه أن يبدي رأيه في نظام الحياة التي يحياها.

لذلك حاول حكماء الرومان أن تنمية الشعور بالعزة والكرامة لدى الناس في بلادهم، كما نقلوا كثيراً من حضارات الأمم الأخرى كلها، ثم نشروا ذلك كله وعمموه، كما أخذوا عن غيرهم فن البناء والعلوم والفنون ونظم الحكم وغيرها.

٢- أما أعظم شيء خلفه لنا الرومان هو "القانون"، فقد اعتقدوا أن الناس جميعاً يمكنهم أن يعيشوا في سلام ومحبة إذا احترموا القانون احتراماً يجعلهم يعيشون حياة فاضلة كريمة. وكان ينبغي أن تكون هذه القوانين صحيحة عادلة منصفة، كما كان ينبغي أن يحترمها كل فرد، لا الذين يشعرون بالحاجة إليها فحسب. فقد من حق كل رجل يريد أن يتعلم ويصبح من الحكماء بحيث يستطيع أن يخدم أمته، من حقه أن يبدي رأيه في صياغة هذه القوانين وأن يتأكد من أنها تأخذ طريقها إلى التنفيذ، ولذا سيرت فصائل الجيش الروماني التي تتكون من المواطنين الرومانيين المجندين، إلى مشارق الأرض ومغاربها، كما أبحرت إلى مصر وإنجلترا؛ وذلك لكي تتأكد من أن القانون يحترم، ولقد استطاعت هذه القوانين أن تضمن الأمن والنظام في خير فترات الحكم الروماني، وبذلك عمت السعادة والرخاء بقعة من بقاع

العالم كان يسودها الاضطراب والقلق والفوضى، بقعة كانت الحروب فيها والمعارك دائمة لا تنقطع.

٣- لقد فطن الرومان إلى حقيقة مهمة، لعل بعض الناس لم يدركها حتى الآن، تلك هي أن الفرد لا يستطيع الحياة بمفرده في معزل عن سائر الناس، وفطنوا أيضاً إلى أن أي قتال يشب أو أي نزاع يظهر، في أية بقعة من بقاع العالم سيؤثر في الناس في كل مكان إن آجلاً أو عاجلاً، وهذا هو السبب الذي جعلهم يذهبون إلى بلاد أخرى ويحاولون إقامة حكومات تطبق فيها القوانين التي تجعل الناس يعيشون في أمن وسلام.

ولكنهم أدركوا أيضاً أن الناس ليسوا جميعاً سواسية متشابهين، ومن ثم أعطوهم الفرصة في وضع القوانين التي تلائمهم. ولقد خالف الرومان معظم من سبقوهم من الحكام، حين أتاحوا لغيرهم من الناس حرية التفكير والعقيدة والعبادة بشرط أن يكون سلوكهم مرضياً.

لقد قدمت روما الخير الكثير للبشرية، وقامت بأعمال عظيمة، ولكن الرومان وقعوا في خطأ كبير حين حاولوا أن يتحكموا في ملايين الناس في جميع أنحاء العالم، ولذلك سقطت

الإمبراطورية الرومانية العظيمة وتفككت بعد مولد المسيح بخمسمائة عام، سقطت تحت أقدام قبائل البرابرة الهمج، الذين جاءوها من شمال أوروبا وغزوا روما نفسها، وكان أهل روما حينئذ قد أعمتهم الأنانية، واستغرقوا في حياة الترف، وفقدوا اتحادهم، وبذلك انتهى حكمهم وزالت قيادتهم للعالم التي استمرت زمنا طويلا.



٧

العصور الوسطى.. ظلام دامس

يعتبر البرابرة الهمج الذين استولوا على (روما) هم أصل الشعب الإنجليزي الحالي، ولذلك يقول المؤرخون أن سقوط روما يضع نهاية لتاريخ العالم القديم وبداية لتاريخ جديد للبشرية هو ما يسمونه "بالعصور الوسطى".

كانت البشرية وقتها قد قطعت مسيرة طويلة بامتداد خمسة آلاف عام، تعلم الناس فيها الكتابة، وأتقنوا العمارة فبنوا بيوتا وأصبحوا في غير حاجة إلى الانكماش في كهوف تحميهم من الحيوانات المفترسة، وأدركوا إلى أي مدى سهلت التجارة والأسفار من مكان إلى مكان نتيجة لاستخدام السفن والطرق والخيول والعربات، كما توصلوا إلى وسائل مدهشة للحصول على الطعام واستخدام الخشب والأحجار والطين والمعادن؛ وبذلك أصبحت حياتهم سهلة ميسورة ينعمون بها، حتى أنهم نعموا في أوقات كبيرة بالأمن والنظام والرخاء.

ولكن على الرغم من كل ما عانوه في الماضي، إلا أنهم كانوا يتصارعون ويتحاربون بعضهم مع بعض، كأنهم قد رجعوا إلى طبائع سكان الكهوف. لذلك مرت على العالم فترة من الزمان تبلغ ألف عام، منذ سقوط روما إلى اكتشاف "كولومبس" لأمريكا عام ١٤٩٢ م، فترة عاش الناس فيها في أسوأ الحالات وفي حزن وظلام دامس وخطر دائم، وتلك هي فترة "العصور الوسطى".

لكن ذلك كان نسبيا، بمعنى أن مناطق أخرى في العالم لم تعش تلك العصور المظلمة، فمثلا إذا ما سألت صينياً مثلاً عما انتاب بلاده في تلك العصور البائسة قبل عام ١٤٩٢ م، فقد لا يفهمك وقد يدهش من وصفك تلك العهود بالظلام والبؤس، لأن تلك الفترة مثلاً كانت تمثل عصراً ذهبياً في بلاد الصين.

ولكننا لا نستطيع أن ندرس تاريخ الناس جميعاً في وقت واحد، فلنبدأ بالكلام عما حدث في أوروبا في العصور الوسطى. كانت هناك عصابات وقبائل من الهمج المتوحشين الجهلة يندفعون ويفتحون طريقهم بحد السيف، متجهين إلى جميع أجزاء أوروبا؛ وكانت هذه الجماعات في معزل كامل عما حققه المصريون والإغريق والرومان من علوم وفنون.

ففي أثناء عراكهم في سبيل الحياة كانت إحدى العصابات الكبيرة تطارد غيرها فتجليها عن أرض، تريد أن تحتلها، وهنا كانت العصابات المقهورة تذيق غيرها نفس الكأس وتوردها نفس المصير لأنها أضعف منها ولقد ساءت الحال حقبة طويلة من الزمن لدرجة أن الأوروبيين حين تعلموا استخدام الحجارة في البناء واستقروا أخيراً استقراراً جزئياً بدأ قادتهم ورؤساؤهم يبنون القلاع والحصون ليلجأ إليها الناس هاربين من الحقول يحتمون بها كلما ظهر في الأفق عدو جديد.

هكذا بدأ عصر "الإقطاع" الذي استمر في أوروبا لمدة طويلة، حيث كان الرئيس أو اللورد أو الفارس يحتفظ بجيش من المزارعين ليحميه ويحمي أرضه وحقوله وقلاعه وحصونه. في هذا العصر كانت القرى والمدن تبنى حول القلاع الحصينة، وحاول الملوك السيطرة على جميع المدن ولكن كان الأشراف والنبلاء يعملون ما يريدون معتمدين على حصونهم وجيوشهم، بينما كان الفقراء يدفعون ضريبة حمايتهم عملاً وجهداً ومالاً. كما يستطيع أن يهاجم أراضي الغير ويضمها إلى أملاكه بالقوة والبطش والقسوة. ولم يكن أمام الفقير الذي يحصل على قوته وقوت عياله من أمل في أن يعيش في سلام وأمان، إلا أن يخدم

واحداً من هؤلاء الرؤساء، فإذا ساعده الحظ وكان هذا الرئيس خيراً، كان عليه أن يدفع له جزءاً من محاصيله وحيواناته التي يربيها في كل عام، وأن يشتغل لسيده مدة معينة، وبذلك يتمكن من أن يحتفظ بأرضه وأن يتركه هذا السيد على قيد الحياة. ومن العجيب أنه على الرغم من انتشار الحروب والنهب والسلب، إلا أن تعاليم الديانة المسيحية كانت تنتشر بسرعة كبيرة في كل أوروبا، تحث على العمل في سبيل حياة أفضل وأحسن، فلقد حمى كثير من الفرسان رجال الكنيسة الذين كانوا يعلمون الناس الديانة المسيحية، فبنيت الكنائس والأديرة وتبادل الناس مع رجال الكنيسة الخدمات العامة فاستعان كل فريق بالآخر.

٨

الإسلام

بينما كانت أوروبا تعاني عصور الظلام، نجد أن ضوءاً باهراً من الشرق قد ظهر،فقد ظهر دين جديد في غربي آسيا ذلك هو الإسلام، قام به عربي من شبه الجزيرة العربية، هو الرسول الكريم محمد ﷺ.

قام النبي وأصحابه بنشر تعاليم الدين الجديد، معتمدين على قوة إيمانهم وتضحياتهم، حتى يعم في العالم الإخاء والحب والسلام. وانتشر الإسلام بسرعة خارقة، فسيطر على غرب آسيا وشمال إفريقيا وإسبانيا، وقد عبأ المسيحيون قواهم لمحاربة المسلمين، وقامت بينهم حروب طويلة تسمى "الحروب الصليبية" وكان الانتصار في جانب المسلمين مرة، وفي جانب المسيحيين مرة أخرى، وفي آخر الأمر انتهى هذا القتال الشديد بمعاهدة بين الطرفين، فعم بينهما السلام.

وقد قاسى كثير من الناس من الطرفين الأهوال والمشاق والمتاعب، كما يحدث في كل الحروب، ولكن هذه الشرور كانت

تحمل في طياتها بذور الخير، فلقد تعلم الصليبيون الشيء الكثير عن وسائل المعيشة المتحضرة، كما أدركوا نواحي الخير التي وجدوها في المسلمين، وتعلموا أن العالم مترامي الأطراف، مليء بكل الظروف والامكانيات التي تهيئ لنا حياة أفضل، ولعل من المصادفات العجيبة أن تدور الأيام فيترك الأوروبيون بلادهم مرتحلين إلى مكان بعيد عن أوروبا بقصد الغزو، ليتعلموا لأول مرة كثيراً من الحقائق التي خلفها الإغريق والرومان والمقدونيون والتي علموها للشرق وحفظوها قبل الحروب الصليبية بأزمان طويلة، وهذا يشبه رحيلك من القاهرة إلى أسوان لتعرف شيئاً كان من الممكن أن يعلمك والدك إياه قبل السفر لو أنك كنت مستعداً أن تصغي إليه.

فلما انتهت مئات السنين التي تكون تلك العصور الوسطى، بدأت المدارس والمعاهد والجامعات تزدهر وتنمو، وفي نفس الوقت بدأت حركة تشييد الكنائس والمعابد الجميلة، وكان المدرسون عادة من رجال الدين والكنيسة، وأصبحت اللغة اللاتينية القديمة التي كان يتكلمها أهل روما لغة الطبقة المثقفة في كل أنحاء أوروبا، ولم يكن عدد المثقفين في أوروبا حينئذ كبيراً ولكن الناس بدءوا ينقلون كتب الإغريق والرومان القديمة ويدرسونها بعد

الحروب الصليبية ومعنى هذا أن الناس بدأت تتهم من جديد بالتفكير وتحاول أن تتعلم مرة أخرى.

وأخذت البلدان والمدائن تنشأ وتزدهر، وعلى الأخص على موانئ البحار، حيث بدأت تتسع شيئاً فشيئاً، كما أخذت التجارة مع الشرق والبلاد الأخرى تنموا وتتسع بالتدريج، وبدأ الناس يهاجرون إلى تلك البلدان ليعملوا في مختلف المهن والحرف ليشتغلوا بالتجارة. وبدأت الثروات تتدفق في جيوب رجال الأعمال وأصحاب المتاجر والتجارة ورجال البنوك وذلك عن طريق التجارة مع البلاد الأجنبية.

وأصبح الناس يشعرون بأنهم مواطنون لهذه المدينة أو تلك، بدلاً من أن يكونوا أتباعاً لهذا الشريف أو ذاك النبيل، فلما نمت قوة المدن وضعف شأن النبلاء والحكام، أصبح هؤلاء يخضعون للملوك والأباطرة: دفعوا له الضرائب وجيشوا الجيوش وزودوها بالمعدات الحربية.. وهكذا بدأت أوروبا تنقسم إلى دول وأمم مستقلة منفصلة إحداها عن الأخرى، في صورة قريبة مما هي عليه اليوم.

فلما قاربت العصور الوسطى على الانتهاء، كانت المدن التجارية الكبرى في شمال إيطاليا ترسل سفناً تجارية بصورة منتظمة إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط، وكانت هذه السفن تعود إلى أوروبا محملة بالأقمشة والحرائر والجواهر والروائح والتوابل من الجزر الأسيوية البعيدة، ومن الهند، ومن جزر البهار، وغيرها من بلاد الشرق الأقصى. وقد ذهب كثير من الرحالة وجابوا بعض تلك البلدان، ومنهم "ماركوبولو" الإيطالي الذي ولد في مدينة البندقية المشهورة بالتجارة، وقد كتب "ماركوبولو" هذا بعد عودته كتاباً عن رحلاته وما شاهده من غرائب في آسيا، وكان لهذا الكتاب أثره في أهل أوروبا وبخاصة في البحارة والتجار فقد جعلهم تواقين للوصول إلى هذه البلاد البعيدة بما فيها من خيرات وثروة.

وربما يتساءل الإنسان لماذا يهتم الأوروبيون "بالتوابل"؟ ذلك لأنهم كانوا يستخدمونها في حفظ اللحوم من التلف، كما أن هذه التوابل تجعل اللحم مستساغ الطعم لو أصابه شيء من العطب.

ولما استولى المسلمون الأتراك على مدينة القسطنطينية الحصينة، وقفلوا الطرق البرية للتجارة من الغرب والشرق، بدأ الحكام والشركات التجارية الكبيرة ترسل مزيداً من السفن تجوب

البحار والمحيطات، لتبحث عن طرق جديدة تصل منها إلى أقطار الشرق الأقصى، ولقد تمكن بعض بحارة البرتغال من أن يكتشفوا طريقاً حول إفريقيا، يصلون منه إلى آسيا، وهؤلاء بدءوا يتاجرون ويرحبون ربحاً وفيراً أدهش أوروبا كلها.



٩

اكتشاف أمريكا

لقد اعتقد بعض مفكري الإغريق القدماء في عهد الإسكندر الأكبر في مصر، أن الأرض كروية، وكان أحدهم ويدعى "إيرانوستينز"، على وشك أن يصل بطريقة علمية إلى حجم الأرض الحقيقي، وكان تقديره لا يتعدى خمسين ميلاً زيادة أو نقصاً، وقد وقف "كريستوفر كولومبس" الذي ذهب من مدينة جنوه بإيطاليا إلى إسبانيا على هذه التعاليم الإغريقية القديمة، وكن بدوره يعتقد أن الأرض كروية.

لذلك طلب من ملك وملكة إسبانيا أن يمنحاه بعض السفن، وبذلك استطاع أن يبحر باتجاه آسيا متجهاً ناحية الغرب، عبر المحيط الأطلنطي، ولم يكن كريستوفر نفسه يعلم، بل ولم يكن أحد في أوروبا أو آسيا كلها يعلم، في ذلك الوقت أن هناك قارات تسمى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، أو أن هناك محيطاً يسمى المحيط الهادي يقع بين أوروبا وآسيا.

ولقد منح حكام إسبانيا الذين قهروا المسلمين في النهاية في بلادهم، منحوا كولومبس بعض السفن فبدأ رحلته غرباً، فاكتشف أمريكا، غير أن كولومبس مات وهو يعتقد أن أمريكا جزء من آسيا رغم رحلاته العديدة التي وصل منها إلى أمريكا. وهذا هو السبب الذي جعله يسمي الجنس الأحمر الذي وجده في أمريكا باسم "الهنود الحمر" لأنه كان يعتقد أنهم السكان الأصليون لبلاد الهند، التي ظن أنه وصل إليها على الجانب الآخر من العالم.

ولقد تمت بعد ذلك رحلات واكتشافات عديدة أخرى إلى أن أبحر "فرديناند ماجلان" في سفينة من إسبانيا دار بها حول العالم كله، ومن ذلك الحين بدأ العالم القديم يتجه نحو العالم الجديد بل والعالم كله. ولذلك نستطيع أن نطلق على تلك الفترة من الاكتشافات العظيمة "بداية التاريخ الحديث".

١٠

بلاد الشرق الأقصى

قبل أن نمضي في سرد قصة التاريخ حتى نصل إلى أيامنا، يجب أن نعرف شيئاً عن بلاد الشرق الأقصى، كالهند والصين واليابان وأرض المغول في شمالي آسيا. وقد علش فيها أقوام منذ آلاف السنين، وعلى الرغم من أن الشعوب التي تكلمنا عنها حتى الآن لم تكن تدري أن هناك أحياء في تلك البقاع، كان أهل الشرق الأقصى أقواماً متحضرين لهم حكامهم العظام، ولهم دياناتهم، ولهم مفكروهم العظماء، ولهم مخترعوهم، ولهم أفراد يشتغلون بالدراسة والبحث.

ومن المرجح أن الصينيين هم الذين اخترعوا البوصلة، واخترعوا الورق كما نصنعه نحن الآن وتوصلوا إلى الطباعة، وصناعة البارود، وهذه أمثلة قليلة نضربها لكل ما كان له أثر كبير في تاريخ العالم كله ، وقد حمل الملايين الذين عاشوا في الهند لواء الحضارة والثقافة آلافاً من السنين، واقتبس العالم كله الكثير منها، وحدث في وقت من الأوقات أن سيطر على العالم القديم بأسره

أباطرة المحاربين الأشداء وهم خاقانات المغول الذين سكنوا شمالي آسيا وأوشكوا أن يقهروا العالم المعروف حينئذ ويحكموه شرقاً وغرباً.

أما اليابان وهي بلاد تتكون من مجموعة من الجزر، فقد كان الماء يحجزها عن غيرها ويحميها بدرجة مكنتها من التقدم دون أن تتصل اتصالاً كبيراً بالعالم الخارجي آلافاً من السنين، ولقد جاهدت اليابان أن تحتفظ بعزلتها هذه، فلم تخرج عنها إلا منذ مائة عام تقريباً.

نطلق اسم العصور الحديثة على السنوات التي تدور حول عام ١٥٠٠ بعد الميلاد. ولكن هذه الحقبة من الزمان وهي لا تعدو أربعمائة أو خمسمائة سنة هي في الحقيقة فترة قصيرة من عمر الزمان والتاريخ الذي تكلمنا عنه حتى الآن والذي يستغرق آلاف السنين.

١١

العلم والديمقراطية

إن العصر الحديث الذي نبدأ تاريخنا به، بعد كشف أجزاء جديدة من العالم، قد تولى فيه مركز الصدارة والحكم أهل أوروبا وأبناؤهم وأحفادهم من بعدهم. حقيقة لم تحكم أمة واحدة كبيرة غيرها من الأمم والشعوب، كما فعلت روما في عصر ازدهارها. وحقيقة كانت الأمم الغربية الحديثة على وشك الوقوع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الإغريق القدماء، وهو الدخول في صراع بينهم وبين أنفسهم – ولكن طرق التعليم الغربي ووسائل تنفيذهم وعملهم كانت من القوة والسيطرة، بحيث انتشرت في جميع أنحاء العالم. ولعل السر في قوة الغرب يرجع إلى فكرتين مستمدتين من الإغريق هما: "العمل" و"الديمقراطية".

لقد درسوا ما ورثوه من مخلفات العصور القديمة، غير أن رغبتهم في البحث عن الحقائق بأنفسهم ومعرفة السبب في كل شيء ساعدهم على أن يجعلوا الناس عيشة فيها كثير من اليسر والسعادة.

فالاكتشافات العلمية التي تمت في أيام كولومبس عن استخدام العدسات، وهي التي مكنتنا من الوصول إلى الميكروسكوب والتلسكوب، فتحت أمامنا عوالم جديدة لا تقل شأناً عن العوالم التي كشفها البحارة، ذلك لأنها ساعدتنا على كشف أسرار الحياة، وعلى الوقوف على طبيعة المادة وقوتها، وقد حدث ذلك في أثناء جرينا وراء الحقائق كما نفعل حتى الآن. أما "الديمقراطية" فإنها كلمة تطلق على "حكم الشعب" ففي نظام الكومنولث حيث يبدي كل فرد رأيه في الطريقة التي يرغب أن تحكم بها هذه المجموعة من الشعوب – وجدنا أن الناس لا يعملون متعاونين تماماً بعضهم مع بعض، إلا إذا خضعوا للقانون الذي أسهموا في سنه، ووافقوا عليه جميعاً، دون ضغط أو إجبار من أحد .. وقد كان اختراع الطباعة في أوروبا منذ أيام كولومبس أحد الدعامات القوية التي ساعدت الديمقراطية، ذلك لأنه قد أصبح من اليسير اختراع ماكينة الطباعة ولأول مرة في التاريخ، أن يقرأ الكتب آلاف الناس وأن يقتنوها، وانتشرت المعرفة في كل مكان، بعد أن كانت مقتصرة على عدد قليل من الناس، وأخذت المعرفة تنتشر شيئاً فشيئاً، وبدأ الناس يأخذون نصيبهم الحق من التعليم.

١٢

بريطانيا

من المحتمل أن كولومبس لم يكن مهتماً بالجزر البريطانية، ولعله كان يعرف شيئاً عن الأقمشة الإنجليزية وأشغال الإبرة، التي كانت تنتجها نساء بريطانيا، والتي كانت مشهورة في ذلك الوقت، غير أن كولومبس ابن ميناء جنوة، والذي كان في خدمة إسبانيا القوية ؛ لم يكن في حاجة إلى أن يعرف شيئاً عن سكان مجموعة صغيرة من الجزر تقع بعيداً في الجزء الشمالي الغربي من قارة أوروبا. ومع ذلك فقد كان كولومبس نفسه هو الذي وضع الجزر البريطانية على الخريطة، فمنذ أن كشف الطريق إلى أمريكا، انفتح المستقبل أمام البلدان الواقعة على المحيط الأطلسي.

وعبر آلاف السنين التي كان الإغريق ومن بعدهم الرومان يفدون فيها إلى أوروبا ويتحكمون في مصائرها ويحكمونها، إلى أن تغلب عليهم البرابرة.. ماذا كان يجري في بريطانيا؟ إننا لا ندري على وجه التحديد من أين وفد الجنود الأوائل للجنس الإنجليزي،

ولكنه من المحتمل أن كان منهم بعض الهنود الأوربيين الذين تحركوا عبر آسيا واستوطنوا كل جزء من أجزاء العالم الغربي.

فلما أبحر "يوليوس قيصر" – وهو أعظم قادة الرومان، بل لعله أعظمهم جميعاً – إلى بريطانيا من ساحل فرنسا في عام ٥٥ قبل الميلاد (أي منذ حوالي ألفي عام)، وجد أن هناك شعباً همجياً بدائياً، إذا قيس بشعب روما أو الإغريق ووجدهم لا يعرفون القراءة أو الكتابة أو العمارة أو الفنون أو الحرف والمهن التي تطورت وتقدمت تقدماً مستمراً في العالم الشرقي، أما الآلات والأسلحة التي كانت لديهم، فكانت بدائية، فكان عليهم أن يقتبسوا الشيء الكثير عن الرومان الذين ضموا بريطانيا إليهم وجعلوها جزءاً من إمبراطوريتهم، وحاولوا أن يحكموها حتى يتوطد فيها الأمن والنظام.

لقد عاش الرومان في بريطانيا مئات السنين ولا تزال بعض منشئاتهم التي أقاموها هناك باقية إلى الآن: هناك طرقهم، ومدنهم، وأسوارهم. فلما ضعفت روما وغادرت الجيوش الرومانية أرض بريطانيا، تولى الأمر بعد الرومان أقوام آخرون كانوا أشد منهم غلظة وجفافاً.

هناك على طول شواطئ بحر الشمال فيما نسميه اليوم ألمانيا، كانت تسكن قبائل بيض البشرة ذوو شعر أصفر وعيون زرقاء، على جانب كبير من التوحش وحب القتال، وهؤلاء هم الإنجليز والساكسون والجوت، وقد أرسلت هذه القبائل جيوشا هاجمت بريطانيا، ثم بعد فترة من الزمان احتل أجزاء منها. ولم تكد أقدامهم تثبت هناك ويشعروا بشيء من الراحة والهدوء ويعيشوا بعضهم مع بعض في حالة من الأمن والسلام، حتى أغار على بريطانيا قبائل "الفايكنج" الآتية من أرض إسكنديناوة من السويد والنرويج والدنمرك، وبدءوا يطئون أرض بريطانيا من سفنهم السريعة الطويلة وبذلك أصبح في بريطانيا عدد وفير من الناس يمتزجون ويتزاوجون ليخلقوا من أنفسهم شعباً بحرياً.



وبعد ١٠٦٦ سنة من ميلاد المسيح، وفد على إنجلترا فريق من أهل الشمال الذين عاشوا في فرنسا أعواماً عديدة والذين كانوا يسمون "النورمانديين"، وكان على رأس هؤلاء قائدهم "وليم" الذي سمي فما بعد "وليم الفاتح". وكان هذا هو آخر غزو حدث لإنجلترا في تاريخها الطويل، على الرغم من أن هناك أناساً مسالمين كانوا يفدون على بريطانيا للإقامة فيها، هرباً من الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه في أراضيهم، وكان هؤلاء المهاجرون ينقلون معهم بعض الأفكار والصناعات والحرف للبلاد الإنجليزية.

لذلك كله يعتبر الشعب الإنجليزي خليطاً من دماء مختلفة، كما تعتبر اللغة الإنجليزية لغة مختلطة أيضاً، ففيها كلمات أخذتها من الشعوب المختلفة الذين استوطنوها، كما استمد الشعب البريطاني عاداته وقوانينه وطرائق حياته من أولئك الذين سكنوا بريطانيا مئات السنين.

وقد كانت الفترة التي انقضت بين وليم الفاتح وبين كولومبس أربعمائة عام استطاع في خلالها هذا الخليط من الرومان والأنجلوساكسون والدنمركيين والنورمان (أهل الشمال) أن يندمج في كتلة واحدة قادرة على رعاية شئونها الخاصة بها. وقد أسهم الشعب الإنجليزي في الحروب الصليبية وفي حروب

أخرى داخل بلاده وخارجها، ولذلك بنيت قلاع عظيمة وحصون منيعة، و في تلك الفترة بنيت الكاتدرائيات والأديرة الضخمة، وبدأت المدن تثري أسوة بما حدث لمدن أوروبا من قبل.

ونظراً لأنه كانت هناك دلائل كثيرة تنم عن رغبة الإنجليز عن الرئاسة وكراهيتهم لها، فقد اجتمع النبلاء وقرروا أن ينصحوا الملك، وكان هذا بداية البرلمان، وأخذ العبيد يحصلون على حريتهم تدريجياً، وعاشوا عيشة أفضل من المدن، فكانت هذه هي بداية الديمقراطية.

ويذكر التاريخ الحديث دائماً "هنري الثامن" أحد ملوك إنجلترا لأسباب عدة، ليست كلها حسنة؛ فقد كان بديناً تزوج ست زوجات، واحدة في إثر أخرى واستولى على أراضي الأديرة، ونادى بأنه هو وليس البابا الرئيس الأعلى لكنيسة إنجلترا، كما بنى عدة قصور رائعة وأنشأ بحرية إنجليزية، ومهما يكن رأيك فيه، فإنه لا شك قد ساعد على أن يشعر الشعب الإنجليزي بالصراحة وأن يعتز بالاستقلال.

ولذلك فإنه عندما تولت العرش ابنته "إليزابيث الأولى" لم تجد صعوبة في أن تجد من بين رعاياها الرجال الذين تحتاج إليهم

إنجلترا، وفي عهدها قام "دريك" بالرحلة التي طاف فيها حول العالم، وهزم الأرمادا الإسبانية في عام ١٥٨٨.

وفي هذا العهد كان بحارة إنجلترا وتجارها يفتحون آفاقاً جديدة في الشمال والجنوب والشرق والغرب، ومنذ ذلك الحين وضعت أسس الكومنولث البريطاني. في عام ١٥٨٣ حينما بدأ "سير همفري جلبرت" باستعمار "نيوفوندلاند" شمالي كندا.

وبعد بضع سنين أنشأ الكابتن "جون سميث" مستعمرة جديدة في المكان الذي تقع فيه ولاية "فرجينيا" بالولايات المتحدة الأمريكية الآن، غير أن الأمريكيين مازالوا يذكرون جدودهم الأوائل الذين جاءوا في عام ١٦٢٠ م، ويعتبرونهم المؤسسين الحقيقيين لبلادهم، ولذلك فإن الأمريكيين حين يحتفلون "بعيد الشكر" الكبير، في شهر نوفمبر من كل عام فيأكلون الديكة والفطائر، إنما يعودون بذاكرتهم إلى صلاة الشكر التي أقامها أجدادهم الحجاج الأولون، بعد أن حصدوا أول محصول لهم في العالم الجديد. وكان في أوروبا في تلك الأوقات صراع وحروب دينية، ذلك لأن بعض الحكام أرادوا أن يجبروا الناس على أن يعبدوا الله بطريقة ما، بينما أراد آخرون أن تكون العبادة بطريقة

أخرى، ومن ثم قامت حرب ضروس استمرت ثلاثين عاماً، قتل فيها آلاف الناس كما سببت الشقاء لكثيرين غيرهم.

وكانت بريطانيا بعيدة نوعاً عن هذه الحروب، ولكنها مع ذلك كانت لها مشكلاتها الخاصة؛ فقد اصطدم الملك "شارل الأول" مع البرلمان، وكان لذلك حينئذ سلطات قوية جداً، ولكنه ما كان يستطيع أن يستغني عن البرلمان كلية، فلم يستطع أن يجبر الناس على دفع الضرائب دون إذن البرلمان، ولكنه صمم أن يحاول. فحدثت بسبب ذلك حرب عنيفة كانت أسوأ أنواع الحروب جميعاً: حرب كان المواطن يحارب فيها أخاه المواطن، أي أنها كانت حرباً أهلية، فكان من المحتمل أن يوجد أخوان كل منهما في جانب يخالف الآخر أو والد يحارب ولده. غير أن جبهة البرلمان انتصرت في آخر الأمر وأعدم "شارل الأول" وكان تنفيذ الحكم في يوم من أيام الشتاء في عام ١٦٤٩ م. واستمرت بريطانيا فترة من الزمن بلا ملك يجلس على عرشها، يحكمها وصي وهو "أوليفر كرومويل" حتى مات ذلك الوصي، فأعيد ابن الملك شارل، ونصب ملكاً على بريطانيا ومن ذلك الحين أصبح لإنجلترا ملوك وملكات يجلسون على العرش.

والآن لنتحدث عن "الديمقراطية" والعلم في تلك الأوقات.

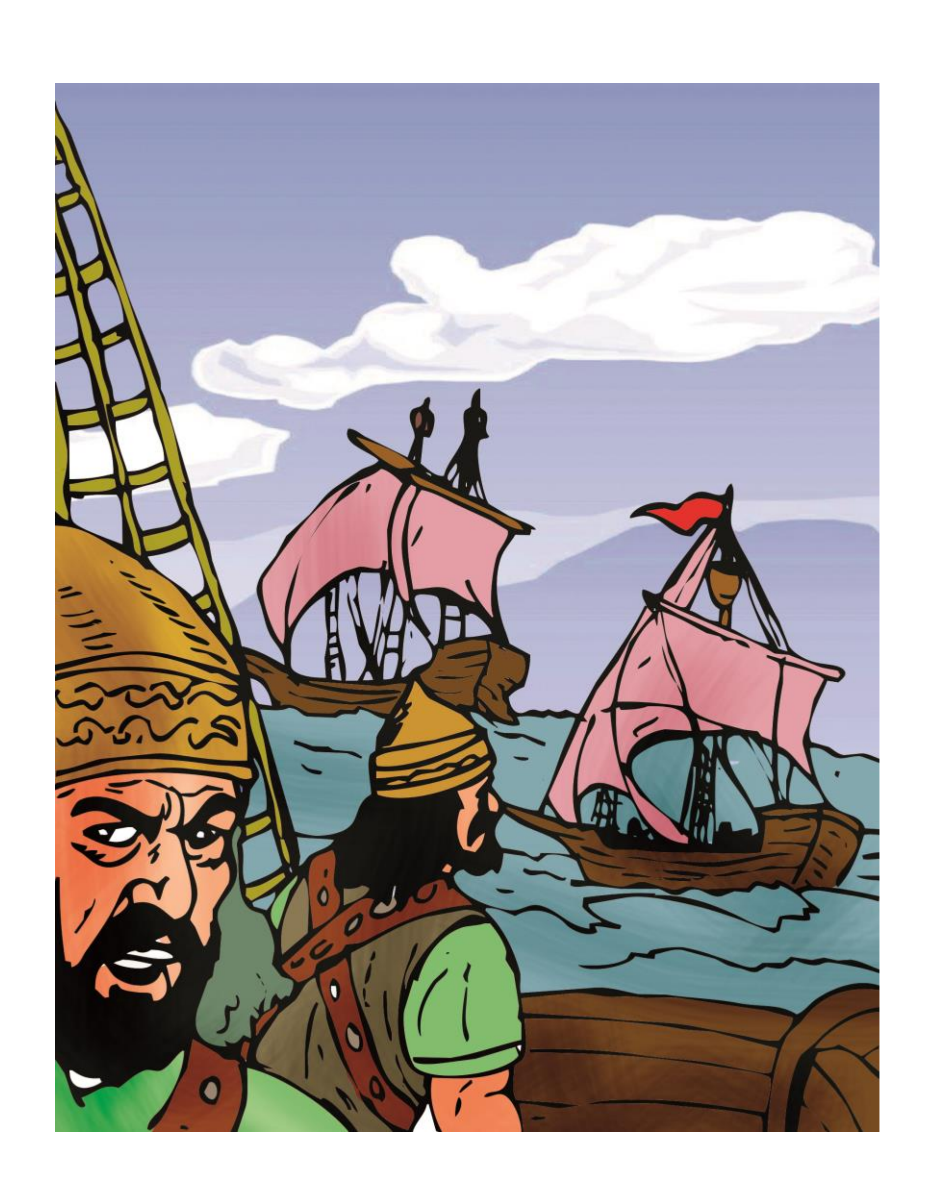
مهما يكن رأيك في إعدام الملك "شارل" فإن غالبية الناس متفقة في الرأي على أن الديمقراطية قد خطت خطوة إلى الأمام نتيجة للحرب الأهلية، ولا يزال الشعب الإنجليزي يكرم "جون هامبدن" الذي رفض هو وأتباعه دفع الضرائب التي فرضها "شارل".

أما "العلوم" فقد أخذت تتقدم وتتطور هي الأخرى رغم حالة القلق التي سببتها الحرب الأهلية، فقد استطاع "وليم هارفي" الذي كان طبيباً خاصاً للملك "شارل الأول" أن يكتشف الدورة الدموية. وهذا درس يتعلمه التلاميذ في دروس الإسعافات الأولية فيدركون أهميته، ومع ذلك فلم يتوصل إليه أحد قبل "هارفي" أو يعلم عنه شيئاً، حتى الإغريق رغم ما كان لهم من اهتمام بالعلوم، أو الرومان بما كان لهم من حسن إدراك ومن مقدرة على بناء الجسور وإنشاء الطرق.

ولقد كان للملك "شارل الثاني" ولع كبير بالعلوم، ولذلك سميت أكثر الجمعيات العلمية البريطانية "بالجمعية الملكية"، وظهر تبعاً لذلك أنواع جيدة من التلسكوب والطلمبات والمضخات والساعات، ومن الأمور التي حدثت نتيجة للاكتشافات العلمية أن الناس أصبحوا لا يعتقدون في الجن والخرافات التي كانت

تسيطر على عقولهم لعدة قرون، وحرمت مهنة الشعوذة والسحر، فكانت المرأة التي تضبط متلبسة بهذه المهنة، تعذب أو تقتل، وأدرك الناس فجأة في عصر العلوم تفاهة الاعتقاد في السحر، فتلاشت الخرافات إلى الأبد.

وفي القرن الثامن عشر كانت هناك أحداث تجري في ممتلكات بريطانيا فيما وراء البحار، وهذه البلاد هي التي قدر لها فيما بعد أن تصبح "الكومنولث" البريطاني والولايات المتحدة، فإنه على الرغم من أن "دريك" كان دائم الحرب مع الإسبان، فإن إنجلترا لم تفلح في إقامة مستعمرات في هذا الجزء من العالم، بل ترك الإسبان في جنوب أمريكا، بينما وجد الفرنسيون والإنجليز والهولنديون مرتعاً للثراء في النصف الشمالي من هذه القارة.



أما في الهند الشرقية وبورما وما نسميه الآن جنوب شرقي آسيا حيث كان البرتغاليون يرتعون ويتحكمون، فقد استطاع الإنجليز والفرنسيون والهولنديون تدريجياً أن تطأها أقدامهم، ولكن مجال الاستعمار لم يكن متسعاً للجميع، وكان على الدولة التي تحاول الاستيلاء على مستعمرة أن تأخذها بحد السيف.

وفي شمال أمريكا استولت إنجلترا على مراكز الهولنديين والفرنسيين، وقد تم ذلك بعد انتصار الجنرال "وولف" انتصاراً حاسماً عند "كويبك" غير أن هذا الانتصار لا يعني أن الفرنسيين أخرجوا نهائياً من كندا، فسكان إقليم "كويبك" مازالوا يتكلمون اللغة الفرنسية حتى الآن. أما الهنود الحمر وهم السكان الأوائل لهذه البقاع فقد زالوا واختفوا.

وبينما كان المستعمرون يعاملون السكان الأصليين من الهنود الحمر معاملة قاسية شديدة، كانت الحكومة الإنجليزية من جانبها تعامل المستعمرين بمثل هذه المعاملة. وبدأ النزاع حين رفض المستعمرون الأمريكيون دفع الضرائب لبريطانيا، وفي هذه المرة لم يعدم ملك بريطانيا كما حدث سابقاً، ولكنه فقد ثلاث عشرة مستعمرة في أمريكا، فقد وقع سكان هذه المستعمرات إعلان استقلالهم عام ١٧٧٦ م، وبدءوا يمارسون شئونهم الخاصة بقيادة

أول رئيس لجمهوريتهم وهو "جورج واشنطن"، أما المستعمرات الثلاث عشرة فهي ما تسمى اليوم الولايات المتحدة الأمريكية، أما كندا فقد ظلت مرتبطة ببريطانيا.

١٣

أستراليا ونيوزيلندا

كان الرحالة يحكون حكايات عن أرض عظيمة في الجنوب، وكان يتم التعامل معها باعتبارها مجرد حكايات حتى قام الكابتن "كوك" برحلاته. فلما عاد من هذه الأرجاء وقص ما شاهده، بدأ صانعو الخرائط يجدون مجالاً للعمل، فلن تجد اليوم خريطة للعالم لا تشمل أستراليا ونيوزيلندا.

فهل تعرف ماذا كان يحدث عندما تكتشف بلدا جديدة؟ يحدث عادة أمران:

الأول: أن تتجه إليها شعوب مختلفة وتحاول أن يكون لها فيها نصيب.

الثاني: أن يجد السكان الأصليون أنفسهم وقد حكمهم شعب من الجنس الأبيض، كما حدث مع الهنود في الهند، والهنود الحمر في أمريكا.

أما أستراليا ونيوزيلندا فقد كانتا أسعد حظاً من هذا، فلم يحاول أي شعب أوروبي أن يستولي عليهما، وكان في أستراليا عدد قليل من السكان الزنوج وبذلك لم يضطر المستعمرون أن يجيشوا لهم الجيوش.

وفي نيوزيلندا حارب السكان الأصليون الذين يدعون "الماوري"، حاربوا البريطانيين الغزاة في بادئ الأمر، غير أنهم يعيشون الآن معاً في وئام وسلام تام، وهناك أعضاء من "الماوري" في برلمان نيوزيلندا.

١٤

إفريقيا

لم تكن إفريقيا في حاجة إلى اكتشافها، لأنها كانت معروفة دائماً، نظراً لأن التاريخ قد بدأ هناك في مصر، رغم ذلك فلم يكترث بالذهاب إلى إفريقيا والإقامة فيها إلا نفر قليل من الأوروبيين ، واستمر الحال كذلك إلى ما يقرب من مائة عام مضت.

ولكن ما أن بدأت فكرة النزوح إلى إفريقيا، حتى غدا كل فرد مشوقاً إلى إفريقيا مهتماً بها؛ فبعضهم خرج إليها للتجارة والثروة، وآخرون كان همهم التبشير للدين المسيحي، والحيلولة دون تجارة الرقيق التي كانت منتشرة هناك، وفريق ثالث ذهب ليعمل في الزراعة.

ويمكن القول عموماً أن الشعوب الأوروبية قد اقتسمت إفريقيا فيما بينها عن طريق اتفاقات بدلاً من أن يلجئوا لمحاربة بعضهم بعضا، غير أن الأمر يختلف في جنوب إفريقيا، فقد كان هناك مستعمرون هولنديون وآخرون بريطانيون، قامت حروب

مريرة بينهم وبين السكان الأصليين قبل أن يتكون اتحاد جنوب إفريقيا، أما اليوم فإن البريطانيين والهولنديين يعيشون في سلام جنباً إلى جنب.

ولكن ماذا حدث لأجناس إفريقيا وسكانها الأصليين؟.. إننا جميعاً ننظر لنرقب ما سيحدث لهم. إنهم لا ينقرضون كما حدث للهنود الحمر، ولكن لم يسمح لهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم كما حدث في الهند وباكستان.

ولا يزال كثير ممن عاصروا هذه التطورات في إفريقيا، يذكرون خريطة إفريقيا وكيف وصلت إلى ما هي عليه الآن، وقد أصبح جزء كبير منها للكومنولث البريطاني وآخر للفرنسيين وثالث للبلجيكيين ورابع للبرتغاليين، وليس بها من الدول المستقلة إلا مصر وليبيا وتونس ومراكش والسودان والحبشة وليبيريا.



١٥

حصيلتك الخاصة من التاريخ

هل حدث مرة أن فكرت في أنك تعرف أحداثا تاريخية دون أن تقرأ عنها ودون أن تبذل جهدا في سبيل معرفتها؟ من المؤكد أن ذاكرتك تحتفظ بصور عديدة من التاريخ عاصرتها و مرت أمام عينيك، فاحتفظ بها ذهنك دون مجهود، فمثلاً أنت في مصر تشاهد احتفالات عيد النصر يوم السادس من أكتوبر، تشاهد ذلك وتسمعه فتعلم شيئاً كثيراً عن التاريخ، قد تقصه على أبنائك بعد أن يكبروا.

وهكذا كل حدث يمر وتعيش فيه يعتبر جزءاً من التاريخ، وكلما كبر الإنسان وتقدم في السن، شاهد الكثير من الأحداث، وعرف تبعاً لذلك الكثير من التاريخ.

تخيل مثلا أنك عثرت على رجل معمر يبلغ من العمر مائة عام، لا يرهقه الحديث كثيراً، ثم تصور أنك طلبت منه أن يحكي لك بعض ما يذكره من أحداث.

تستطيع أن تراهن على أن هذا الرجل المسن سوف يحك ذقنه ويقول: حقيقة تطورت العلوم تطورات سريعة، إنني لأذكر كيف انتشرت السكك الحديدية في جميع أنحاء العالم، وقد عشت لأراها تتلاشى تدريجياً. أذكر أول دراجة وأول سيارة وأول طائرة. لقد مر بي من العمر ما جعلني أرى الطائرات حيث كانت أحدث المخترعات، مما أراها وقد أصبحت في معروضات المتاحف. ويمكن الحديث عن اللاسلكي أيضاً: لقد كنت فخوراً بأول جهاز استقبال اقتنيته كما كنت فخوراً بأول بطارية أشتريها. أما أنتم أيها الشباب فتقولون عليّ إنني متأخر لأنني لا أملك جهاز كمبيوتر، لقد عشت لأعاصر ما أداه العلم من نتائج مدهشة في الطب، ولكنني أيضاً شاهدت أثر العلم المدمر في حربين عالميتين. ثم ماذا عن "الديمقراطية"؟ تسأله أنت وقد تذكرت أن الديمقراطية هي الفكرة الثانية.

سيقول لك الرجل المعمر: أظن أن الديمقراطية تتعارض مع العبودية، أليس كذلك؟ حينما كنت صغيراً، كانت هناك حرب أهلية في أمريكا، فيها الشمال، وتم تحرير العبيد، فبقيت الولايات متحدة منذ ذلك التاريخ.

وفي نفس هذا الوقت الذي كانت أمريكا تحرر فيه العبيد، كانت روسيا هي الأخرى قد بدأت في تحرير عمال الأرض التابعين للإقطاعيين، وهو لا يختلف عن تحرير العبيد، كذلك كان في بريطانيا نوع من التحرير، حيث أعطى للطبقة الفقيرة العاملة الحق في التصويت في البرلمان وأخذت الغرف التجارية والجمعيات التعاونية تنموا وتزدهر.

ونتيجة لذلك نرى مثلاً أن بلاد جنوب أمريكا ووسطها قد قسمت إلى جمهوريات مستقلة تحكم نفسها بنفسها، ونرى أن بلاد الشرق الأقصى قد أصبح لها قادة من شعوبها، وعلى الرغم من أن رجالاً أقوياء مثل "شارلمان" و"جنكيزخان" و"نابليون" و"هتلر" قد حاولوا في أوقات مختلفة أن يحكموا العالم بأسره ويسيطروا عليه، فلم يحدث منذ عهد الإمبراطورية الرومانية أن حكم العالم كله حاكم واحد.

إن أخبار هذا العالم المتغير التي نسمعها كل يوم، تثير في نفوسنا اليأس في أن يكون هناك أمل في أن نستقر ونحيا في أمن وسلام. لاسيما بعد أن ذاقت الشعوب جميعها ويلات حربين عالميتين مدمرتين، وإننا لنحاول اليوم أن ننهي هذه الحروب وأن

نمد يد المساعدة والعون للناس في كل مكان وهذا الأمل الكبير الذي يراود المفكرين من خيار الناس يسمى "الأمم المتحدة".

إنها تشبه مؤتمراً كبيراً أو برلماناً، يمكن أن تسن فيه القوانين والاتفاقات لكل أهل الأرض، ويمكن للشعوب جميعاً أن تقرر فيه كيف نستطيع أن نعيش متعاونين بعضنا مع بعض في هدوء وسلام، وكيف يحترم أحدنا الآخر.

وهذا يعطينا فرصة لكي نتعلم كيف يعرف أحدنا الآخر، وكيف يفهمه وكيف يعمل معه في سبيل المصلحة المشتركة لسائر البشر، ومن ثم وجب على الرجال والنساء والأولاد والبنات في كل بقعة من بقاع العالم أن يعملوا معا في سبيل نجاح هذه المؤسسة العالمية وهي "الأمم المتحدة".



الفهرس